أَمْ الغِلْمَانُ تَعِيشُ فِي الأَحْلَامِ

أَعْرِفُكُمْ مَنْ أَنَا... أَنَا أُمُّ الغِلْمَانِ.

كَانَ ياما كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَالمَكَانُ.

أَعِيشُ فِي أَرْضٍ لَمْ تَكُنْ فِي الحُسْبَانِ.

فِي وَقْتِ مَجْهُولٍ مِنْ عَالَمِ النِّسْيَانِ

****

ذات صباح
خَرَّجَتْ وَقَدْ اِرْتَوَتْ الأَشْجَارَ مِنْ النَّدِيِّ.

ووقفتُ أرنو للطريقِ على المدِى.

أَبْحَثُ عَنْ سَلْوَى وَأَرْنُو إِلَى النِّسْيَانِ.

فَتَعَثَّرَتْ بمامان وَزِيرُ السُّلْطَانِ كنعان.

قُلْتُ عُذْرًا يَا سَيِّدِي

قَالَ مَا بِكَ يَا اِمْرَأَةُ ألا تنظرين ؟! .

انتفضتُ وجلة .. قُلْتُ عُذْرًا يَا سَيِّدِي الوَزِير مَامَان.

الحِمْلُ ثَقِيلٌ وَقَدْ أَصَابَنِي الهذيان.

وَأَنَا أُمٌّ لِلكَثِيرِ مِنْ الغِلْمَان.

قَالَ فَمَا شَأْنُيْ أَنَا ؟! ، كَفَى الكَلَامَ وَافسحي الطريق .
فتشبثتُ بلقائِه والأمل كما يتشبثُ بالقشةِ الغريق

قُلْتُ قَدْ جَاعُ الأبناء وَمَا فِيَّ بَيْتى زَادَ.

وَمَرِضُوا وَتَفَشَّى العَوَزُ وَزَادَ.

فَلِي رَجاءً وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَهُ مُجِيبا.

قَالَ هَاتِ وَأَرْجُو أَلَّا يَكُون أَمَرّا غَرِيبا.

أُرِيدُ أَنْ أَرَى سُلْطَانُكَ عَنْ قَرِيب.

قَالَ : أشاكية أم راجية ؟!
قلتٌ مُتوسلة فَقد تَكوّن كلماتُه لي المنجية
قال : السُّلْطَانُ بِالعَدْلِ مَوْسُوم

وَيَوْمُ المَظْلَمَةِ لَكَ مَوْعِدٌ مَرْسُوم

وَكَانَ مَا كَانَ ، فذهبتُ في الميعاد ووقفتُ بين العباد

قَالُوا: أَجْلِسِ وَلَا تَتَكَلَّمِينَ

وَإِذَا نَادَوْا عَلَيْكِ فَلِتُقَفِّينَ

وَكَانَ يَوْمُ المَظَالِمِ حَضَرَتْ مَعَ الحَاضِرِينَ.

وَكُلٌّ فِي مَكَانِهِ وَاقِفٌ وَبِمَا عَلَيْهِ عَالَمٌ

نُودْي عَلَىّ فَوَقَفْتُ فِي الحَالِ

وَدَعَوْتُ ربى : فَرَج الأَحْوَالَ

وَقُلْتُ: لِي فِيكَ يَا سَيِّدِي مظْلِمَةٌ

وَخَبَّرَنِي بِحِكْمَتِكَ أمظلومة أَنَا أَمْ ظَالِمَةٌ

قَالَ : هَاتِي مَا عِنْدَكِ ولاتُكثرين

قلتُ : وقد نسيتُ الخوف كَانَ لِي مَنْ وَلَيْتُهُ أمرِي.

وَرَضِيتُ أَنْ يَتَحَكَّمَ بِمَالِي وَوَلِّدِي وَعُمَرِي.

وَلَكِنَّهُ أَكَلَ طَعَامِي وَمَا أَطْعِمْنِي..

وَلَبْسُ كسْوَتِي وَمَا كَسَانْي.

شربَ مَائِيّ وَمَا رَوْانِي.

وَمَرِضْتُ وَأَوْلَادِي وَمَا دَاوَانِي.

وَإِذَا شكيت لم اِسْتَمَعَ ، وَإِذَا نَادَيْتُ لم سَمِعَ

غَاضِبًا ، اِنْتَفَضَ السُّلْطَانُ.

مِنْ هَذَا الَّذِي يَظُنُّ أَنَّهُ رَبّكِ الأَعْلَى ؟!

وَاللهِ عَلَى العبَادِ أَعْلَى.

قَالَتْ أَعْطِنِي الأَمَانَ حَتَّى أَقُول

قَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكِ وَأَنَا عَنْ حِمَايَتِكَ مَسْؤُلٍ

قِلَّتُ : أَنْتِ أَيُّهَا السُّلْطَانَ كنعان

تَرَكْتَنَا فِي الحَيَاةِ ضَائِعِينَ.

وَظَنَنْت أَنَّنَا عَلَى الصَّبْرِ قَادِرُونَ

صَدِّقْنِي قَدْ عَمَّ النَّاس البَلَاءَ
وَشَحَتُّ الأَرْزَاقَ

وَبَلَغَتْ الفَاقَةُ الأَعْنَاقَ

وَنَدَرَ المرع وَجَفَّ الضرع

وَكَثْرَةُ المُكُوسِ.

وَالفَقِيرُ بَيْنَ همْ وَهمْ يَجُوس

وَامْتُلِئَتْ خَزَائِنُكُمْ ، وَعَنْ النَّاسِ مَنَعْتُمْ.

فَلَا بِالنَّذرِ اليسيرِ عَلَيْهِمْ فِضْتُمْ.

وَلَا الخَبْزَ الجَاف لِهُمْ وَفَّرْتُمْ.

اِنْتَفَضَ مَامَان يُزَبِّدُ وَيرعد ، مَا هَذَا الجُنُون ؟!

قَالَ عَلَى بِالسّيف أَجزْ رَأْسَهَا المأفون

وَعِنْدَهَا نطْق كنعان

قَالَ أَصْمُت يَا مَا مَان..

أَنْتَ يَا أَمْ الغِلْمَان مَاذَا تَظُنِّي أَنَّي فَاعِلٌ بِكَ.

بصوتَ مهتزَ قلتٌ أمِرِّي بَيْنَ يَدَيْكَ وَقَدْ أُلْقِيَت هُمُومِي بَعْدَ اللهِ عَلَيْكَ.

تَبَسُّمٌ بِوَجْهِ صبوح. قال : أنت درة بين النساء واعلموا ياقوم مِنْ اليَوْمِ وَلَّيْتهَا.

وَعَلَى مَظَالِمِ العُبَّادِ حِكْمَتُهَا.

وَرَاح النَّاسَ يُصَفِّقُونَ وَيُهَلِّلُونَ.

وَمِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبَ يُهَنِّئُونَ

وَارتفعت الأصوات ..اِنْتَفَضت أَمْ الغِلْمَان

وَاِكْتَشَفْت أَنَّهَا تَعِيشُ فِي عَالَمِ الأَحْلَامِ ، فلا نعمة بالحلم ولا بالمنام

وَأَنَّهَا مَا زَالَتْ تَعِيشُ فِي أَرْضِ كنعان